مثل انّ ملك الهند اذا خرج للسفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستّة اشهر يدفع لهم من عطائه وانّه عند رُجوعه من سفره يدخل فى يوم مشهود يبرز فيه الناس كافّة الى صحراء البلد ويطوفون به ويُنصب امامه فى ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يُرمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل إيوانه وامثال هذه الحكايات فتناجى الناس فى الدولة بتكذيبه ولقيت انا يومئذٍ فى بعض الايّام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته فى هذا الشأن واريته انكار اخبار ذلك الرجل لِما استفاض فى الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس ايّاك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدُوَل بما انّك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ فى السجن وذلك انّ وزيرًا اعتقله سلطانه فمكث فى السجن سنين ربى فيها ابنه فى ذلك المحبس فلمّا ادرك وعقل سأل عن اللِحْمان التى كان يغتذى بها فاذا قال له ابوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له ابوه بشِيَاتها ونُعوتها فيقول يا ابت تراها مثل الفأر فيُنكر عليه ويقول اين الغنم من الفأر وكذا فى لحم البقر والابل اذ لم يعاين فى محبسه إلّا الفأر فيحسبها كلّها ابناء جنس للفأر وهذا كثيرا ما يعترى الناس فى الاخبار كما يعتريهم الوسواس فى الزيادة عند قصد الإغراب كما قدّمناه اوّل الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مُهَيمِنا على نفسه ومُميّزا بين طبيعة المُمْكن والمُمْتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل فى نطاق الإمكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلىّ المُطلق فانّ نطاقه اوسع شىء فلا يفرض حدّا بين الواقِعات وانّما مرادنا الامكان بحسب المادّة التى للشىء فاذا نظرنا اصل الشىء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوّته اجرينا الحكم فى نسبة ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه وقل ربِّ زدنى علمًا[1].

[1] Extrait du sixième livre et du chapitre intitulé : فصلٌ فى انّ آثار الدولة كلّها على نسبة قوّتها فى اصلها (Suppl. ar., ms. 742, 5°[1], fol. 70 r°, et ms. 742, 6°, fol. 67 r° et v°). Ces deux manuscrits offrent des variantes, mais nous n'avons pas jugé nécessaire de les donner.